



### حين التزم الحياد رغم مرارة الذاكرة التاريخية

## أخلاق الملك عبدالعزيز ومروءته في الحرب العالمية الأولى كانت مخالفة لسوء العثمانيين وسياستهم الخبيثة

في العام (1915) كانت الحرب العالمية الأولى تطل على العالم بمنظرها الكئيب، بكل شرورها وآلامها، فالعثمانيون الذين اعتمدوا كثيرًا على سمعتهم السابقة باعتبارهم إمبراطورية وصل نفوذها إلى وســط أوروبا بدأت تنحســر وتتحول إلى الرجل المريض، كما أنها لــم تفلح في البقاء في منطقة الحيـاد بين دول المحــور والحلفاء، وكان انخراط العثمانيين في الحرب كمن قتل نفســه بنفسـه، والأقاليم التي اســتعمروها كانت تنســلخ منهم واحدة تلو الأخرى، فضلا عــن الدول التي تخلوا عنها طواعية في صفقات فاشــلة من أجل الحفـاظ على إمبراطوريتهم العثمانيــة الآفلة، فليبيا وتونس والجزائر باعها العثمانيون لفرنسا وإيطاليا، وفلسطين للإنجليز، ولم يكن ذلك إلا ثمنًا يسيرًا للجرائم الكبرى والمغامرات غير المدروســة التي قام بها العثمانيون، وعدم فهمهم العميق لتذمر الشعوب التي أنهكها احتلالهم، وأصبحوا يتوقون للنجاة من هيمنة الباشوات والسلاطين وأدواتهم المحلية.

### في وســط الجزيرة العربيــة وعلى أعتاب

السعوديون... شعلة الأمل

العام (1916) كان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود قد استرد نجد والأحساء، في طريق توحيد أجزاء الوطن التي كان المؤسـس يعمل عليها في أطـراف الجزيرة العربية، تلك الإنجازات السـريعة التي حققها الملك الشـاب دفعت الدول العظمى والإقليمية المحيطة بالجزيرة العربية إلى الالتفات إلى نفوذه وحجم إنجازه السـريع الحاسم، ولذلك اسـتطاع الملـك عبدالعزيـز تحقيـق اعترافات البريطانيين والعثمانيين بنفوذ دولته الناشئة.

المؤسس غلبت تمدد القوى الدولية، وحافظت على مكتسبات الوطن خلال مرحلة التوحيد.

السياسة المحورية لدى

#### أضحــت المدينة المنورة بين عشــية وضحاها مســرحًا لثالثة معارك التحريــر العربية ضد المحتل العثماني (1914) وما بعدها، فبعدما استطاع الملك عبدالعزيز توحيد القصيم والأحساء وطرد

العثمانيين منهما، ألهم نصره العظيم العرب في جميع الأرجاء وحفزهم لسرعة التخلص من المحتل العثماني، لذلك تحولت المدينة المنورة إلى ساحة معارك استمرت طويلاً مع العُنْصرِي التركي فخري باشا، وانتهت بطرده وحاميته التركية من الجزيرة العربية.

#### بقي الملك عبد العزيز على مواقفه المركزية التي تأسـس وتربى عليها وعمل من أجلها، فقد كان وحدويًّا عربيًّا قبل أي شــيء آخر، يؤمن بأن أبناء الوطن هم من يجب أن يديروا شؤونهم، وهم من

يحلـون اختلافاتهم ومشـاكلهم دون تدخــل الأجنبي في بلادهــم، لقد كانت كل جهود المؤسـس ومعاهداته ومراســلاته وتحالفاته تبنــي كل يوم لبنة جديدة في طريق توحيد الوطن الســعودية في الجزيــرة العربية. لذلك لم يستســلم لمحــاولات العثمانيين جرّه في حربهم الخاســرة وتحالفاتهم الضعيفــة، في الوقت الذي كانوا يحاولون فيه تعطيل المشــروع الوطني الســعودي بدعم خصومه وأعدائه من كل جانب.

فيه أبناء وطنه ويوحد كلمتهم، فقد بعث المؤسـس رسـائل عدة إلى الـولاة والحكام المحليين في

الجزيرة العربية، يدعوهم إلى رأى واحد بعد التطــورات والتداعيات الخطيرة إثر قيام الحرب العالمية،

لكن أحدًا لم يســتجب، وكانت الــردود متباينة متضادة تقدم المصلحة الذاتية والموقف الشــخصي

جنَّب الملك عبدالعزيز وطنه ويلات الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، مُشكلاً موقفًا يحمى

للقوى المتصارعة، ولا تذهب بعيدًا نحو المصلحة العامة، كما كان يريد الملك عبدالعزيز بما يصب في مصلحة الوطن كافة.

يصـف المؤرخ خير الدين الزركلي تلك المبادرة الثاقبة التي قام بها الملك عبدالعزيز "لم تفلح الدعـوة، لكن تفتحت لها أنظار من يعرفون قيمتها، فبادر الإنجليز إلى إبلاغ الملك بأنهم جيرانه وأنهم يرغبون في التفاهم معه، وأرسـل الألمان عن طريق حلفائهم العثمانيين رسـائل مشابهة، ومع ذلك احتفظ عبد العزيز بحياده".

# أولاً: في المحور الداخلي؛ بدأ الملك عبدالعزيز في تعزيز سلطته على نجد والأحساء، واستتباب الأمن فيهمـا بعدما كانت عرضة للفوضى والفشـل تحت إدارة العثمانيين في القصيم والأحسـاء، وحوَّلها إلى أُنموذج للاســتقرار الســريع دفع البلدات والقبائل والأقاليم الأخرى لمراسلته والانضمام

محاور سياسة المؤسس:

تحت لوائه. ثانيًا: أما محور الجزيرة العربية بمفهومها الواسع فقد وقف الملك مع جيرانه موقف الحكمة والنظرة البعيدة، لكن تصرفاتهم وأخطاءهم الجســيمة ومواقفهم السياســية الهشة مكنت الملك الشاب المؤمن بالوحدة خيارًا لا بديل عنه إلى استرداد الأقاليم السعودية كافة.

ثالثًا: من حيث المحـور الدولي، فقد كان الملـك عبدالعزيز قارئًا مُلهَمًا للسياسـة الدولية وتغيراتهـا، وعرف كيف ينتقل ببلاده في دروب الظروف الدوليـة الوعرة خلال توازنات الحرب العالمية الأولـى وبعدها، خاصة أن الحرب كانت كونية لا قبـل لوطنه ولا للعرب كلهم بها، تلك الدول العظمى كانت لها طرق إمداد ونفوذ تحيط بالجزيرة العربية، وأي اصطدام بها أو الوقوع في إشكالٍ معها يعني

المغامرة والدخول في مواجهة لا قبل لأحد بها.

العثمانيون حاولوا تعويض خسائرهم في أوروبا والقوقاز وأرمينيا بالاندفاع نحو الجزيرة العربية، وإبقائها تحت احتلالهم، بينما كانت الجزيرة تحاول الانعتاق والنهوض من كبوة استمرت قرونًا من الزمن تحت وطأة الاستعمار العثماني، وجزءٌ من تلك الجهود العثمانية كان موجهًا نحو النفوذ البريطاني عدو الألمان، ولذلك دفع الأتراك ثمنًا باهظًا لتحالفهم مع الألمان، ولعدم إدراكهم عواقب الأمور وعدم تقييمهم الأحداث فقد اختاروا الطرف الخاسر في معظم حروبهم ومنها الحرب

العالمية الأولى. حـاول العثمانيون إيقاع الملـك عبدالعزيز للانخراط معهم في الحـرب العالمية الأولى ضد الحلفاء، ودعم المجهود العسـكري العثماني، وراسـلوا ولاتهم والحكام المسـتقلين، لكن ذلك جاء متأخــرًا جدًا فقد تغول الأتـراك في دماء العرب كثيرًا، وتعاملوا بالبطـش والجبروت، وكان عليهم أن يدفعوا فواتير تسلطهم على الأمة العربية وما عانته من ويلات المرتزقة والمحميات التركية.

كان الموقف الدولي وتعقيداته وارتهان المستقبل به صعبًا على الساسة، أما الملك المؤسس فبلاده بدأت للتو تلملم أطرافها، ولا تزال بقية الأقاليم تعيش في فوضى أو مرتهنة لولاة عثمانيين تعمهم الفوضى وقِلَّة الإدراك، وهو في سعيه لاستعادة ملك كان يدير الأمر بكثير من الحصافة والصبر والدهاء، وهنا تبرز الحكمة في التعامل مع كل موقف على حده، فلا تفريط في المكتسبات، ولا اندفاع مع أحد، وفي الوقت نفسه رغم ضعف الدولة العثمانية، لم يحارب الملك عبدالعزيز السلطنة، ولم يقف في صف الحلفاء، بل تعامل معها بما تقتضيه مصلحة بلاده وشعبه في الأقاليم التي استردها، وخلال فترة الحرب بقي الملك محايدًا رغم المرارة التي تجرعها الجميع من

المحتل العثماني، لكن الملك تعامل معهم طوال فترة الحرب العالمية الأولى بأخلاقه لا بأخلاقهم.



ماجستير، جامعة أم القرى، 2004).

1) أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ط 5 (الرياض: منشورات الفاخرية، 1981).